مقياس : الفلسفة الأنغلوسكسونية **السنة الجامعية : 2021/2020**

أستاذ المقياس : د . حابل نذير **مستوى : السنة الثانية ماستر غربية**

المحاضرة رقم 11 / 12

جون راولز John Rawls : العدل وتجديد العقد الاجتماعي

شغلت مقولة العدل محور اهتمام الفكر الفلسفي في معظم عصوره وحقبه الفكرية منذ الإغريق واستمرت بصورة تجريدية مع الفلسفات التأملية اللاحقة .

إلى غاية القرن العشرين أين أصبحت العدالة مقولة مركزية في الفلسفة الغربية المعاصرة مع ريكور وهابرماس مثلما كانت مركز الاهتمام في الفلسفة الأنغلوسكسونية مع الأمريكي جون راولز الذي قدم في سبعينيات القرن المنصرم 1971 " نظرية العدل " الذي يعتبر كتابا في غاية الأهمية كونه يجمع تقاطعات الجوانب السياسية والأخلاقية والقانونية والفكرية .

اعتبر نص " نظرية العدالة " لراولز خلفية نظرية هامة للتصورات الليبيرالية الجديدة

يقدم راولز نظرية العدالة بديل عن النظريات النفعية ، ولهذا تعد نظرية راولز حوار بين: نفعية جون ستيوارت ميل وعقلانية كانط وليس من السهل طبعا أن تدير حوارا بين تقليدين فلسفيين متعارضين تماما وتجعلهما يلتقيان في تبرير المنفعة بالعقل أو : النفعية كتفسير لأحكامنا الأخلاقية العقلية .

يعتبر كتاب رورتي : نظرية العدالة حصيلة مجهود فكري طويل ، فقد كان رورتي مرتبطا بالمجال الأكاديمي منذ 1958 ، وقد كان يشارك في القضايا الراهنة لمجتمعه منذ كانت الفلسفة الأمريكية تحت تأثير الفلسفة التحليلية والوضعية المنطقية ليتغير الوضع بداية من سنة 1971 عندما ظهر كتاب نظرية العدالة " الذي مثل ثورة وحركية جديدة في الفلسفة السياسية والأخلاقية .

هناك أزمات سبقت الكتاب وكانت محكاً للتفكير ، حيث مثلت الأوضاع السياسية والأزمات الثقافية والاجتماعية والسياسية في أمركيا خلال ستينيات القرن الماضي ممثلة في: معاناة السود التي لم تنتهي التي لم تنتهي رغم إلغاء الرق في التشريعيات ومعاناة سكان الجنوب السود مع البيض وحرمانهم من المواطنة ، وحركات السود المطالبة بالحقوق والمساواة ، كل هذا يمثل خلفيات تاريخية لكتاب راولز الذي يعتبر ضرورة فكرية لإعادة التفكير في العدل .

مضمون نظرية العدل : يرى راولز أن العدل ليس قيمة أخلاقية فحسب بل هو قيمة إنسانية ويعتبره فضيلة المؤسسات، لماذا المؤسسة لأن معظم حلات الظلم واللاعدل تقع على مستوى المؤسسات ولهذا من الضروري أن يتم إنزال فضيلة العدل من المستوى النظري التنظيري إلى مستوى الممارسة العملية الموجود في المؤسسات الاجتماعية والسياسية ، ينطلق راولز من المجتمع الذي برى أنه : نسق من علاقات التعاون الاجتماعي التي ينبغي أن تقوم على الإنصاف L'équitéأو Fairness ، الإنصاف لا يعني المساواة لأنها ظالمة وتقوم على التساوي في الحق لأناس ليسوا متساوين في الآداء ، وإنما يعني الإنصاف : لكل حسب حاجته وقدراته ، أو إعطاء كل ذي حق حقهُ ، وهو مفهوم مركزي تتأسس عليه نظرية العدل عند راولز العدل كإنصاف La justice comme équité / Justice as fairness

أسس نظرية العدالة :

1- المجتمع الحسن التنظيم : هو المجتمع الذي يضمن الخير لأفراده، ويحكمه تصور عمومي للعدالة ، أين يحترم كل فرد نفس مبادئ العدالة، التي يعرف أن كل فرد آخر يحترمها بالقدر نفسه ، كما تحترم المؤسسات الاجتماعية والسياسية هذه المبادئ و تجسدها بالصورة التي تكون فيها مثالا وقدوة للأفراد الذين يشعرون بالعدالة بناء على قوانين وممارسات هذه المؤسسات التي تحترم مبادئ العدالة ، هذا المجتمع بهذه الصفات يمكنه أن يعزز رفاهية أفراده دون تمييز .

2- مجتمع التعاون المؤسس على الإنصاف والتعاقد الأخلاقي : يتأسس الإنصاف على وجوب النظر إلى المجتمع كنظام للتعاون المنصف ، حيث يبرم كل شخص عقدا أخلاقيا مع أفراد مجتمعه يلتزم فيه مع ذاته ومع الآخرين بأن يكون فردا قادرا على البناء متعاونا مع الجميع ومشاركا في بناء الحياة الاجتماعية. ، وهكذا يتمكن من التأثير في الآخرين ونيل احترامهم لأنه يحترم معادلة الحقوق و الواجبات، وعلى هذا الأساس يتشكل مفهوم المواطنة بناء على مفهوم اجتماعيته ، أي أنه عضو اجتماعي فاعل في الحياة الاجتماعية و مواطن وبالتالي فهو شخص حر بفضل كفاءاته والتزامه الأخلاقي و الاجتماعي.

عندما يتمكن كل فرد في المجتمع من الالتزام أخلاقيا بالتعاون والانصاف يمكن لكل واحد أن يمتلك كفاءتين / قدرتين أخلاقيتين هما : القدرة على تملك الحس / الوعي بالعدالة، والقدرة على تصور معين للخير.

وبفضل الكفاءة الأولى الوعي بالعدالة يستطيع كل فرد فهم وتطبيق و احترام التصور العمومي للعدالة وبالتالي يصبح المجتمع كله عادلا

أما الكفاءة الثانية تصور للخير فتمكن الفرد من مراجعة تصور الامتياز ات الناتجة عن هذا الخير بشكل عقلاني.

وبناء على اجتماع الكفاءتين الأخلاقيتين ، يتمكن المجتمع من تشكيل صورة عن الثقافة العمومية للديمقراطية بصورة حدسية مباشرة .

3- الوضعية الأصلية : original position / La position Originale هي استعارة عن الحالة الأصلية ، هي حالة افتراضية يتصورها راولز من أجل مقاربة العدل في المؤسسات بين الأفراد ، يقترح فيها أن يجتمع أشخاص عقلاء يتعاقدون من أجل توزيع الثروات والحقوق ، ويكون هذا التعاقد تحت ما يسميه راولز بـ حجاب الجهل veil of ignorance / Le voile d'ignorance ، ويعني حجاب الجهل افتراض الأفراد أنهم يجهلون كل شيء عن الثروات والمقدرات / الممتلكات أي يتفقون أو يتعادون على مبدأ هو أنهم يجهلون كل شيء مثلما كانوا أول مرة في حالتهم الطبيعية التي تشبه حالة الطفل أو حالة الانسان البدائي الذي لم يتلقى شيئا عن الحقوق والملكيات والواجبات ، وهذا ما يسمى بالوضعية الأصلية وهي الوضعية الطبيعية الأولى التي كان فيها الإنسان يجهل كل شيء عن الثروة والملكية والحق والعدل وراولز هنا يرى أن الجهل بالوضع هو الأصل وليس المعرفة والدراية بها ، وبعدما يتعاقدون حيث يجتمع أشخاص عقلاء وهم جاهلون تماما بالوضع وليس لديهم فكرة عن الثروات والخيرات ، يجتمعون لاختيار قواعد توزيع يتم وفقها إعادة اقتسام هذه المقدرات (الخيرات / المنافع / الحريات) بطريقة عادلة ، ويكون الرهان الأساسي هو التعاون.

الوضعية الأصلية تشبه الحالة الطبيعية التي قال بها روسو و بعض فلاسفة العقد الاجتماعي هي الحالة التي لم يكن فيها عنف

قدم راولز مشروع نظرية العدل كبديل عن النزعة النفعية التي كانت تمثل تراث الفكر السياسي الأنجلوسكسوني ، وكانت هذه النزعة غير كافية لتقديم تحليل مقنع عن الحقوق والحريات الخاصة بالمواطنين بوصفهم أشخاصا أحرارا ومتساوين بالرغم من أن هذا الأمر تقتضيه تحليل المؤسسات الديموقراطية .

يستهدف راولز إعادة التفكير في نظرية العقد الاجتماعي بتعميمها وتجريدها ، حيث يصبح بإمكان نظرية العدل تحيل مقنع للحقوق والواجبات والحريات الأساسية .

كما يستهدف راولز من خلال نظرية العدالة تقديم تصور فلسفي عن المساواة في الديموقراطية من خلال ما أسماه راولز بمبدأ المساواة العادلة في الفرص ومبدأ الاختلاف ، ويمكن النظر لما قدمه راولز من زاويتين :

زاوية سلبية لتصورات راولز : تتمثل في أن الأفكار النفعية التي أعاد قراءتها والمتمثلة في (هيوم ، آدم سميث ، جيرمي بنتام ، جون ستيوارت ميل ..) ليس بإمكانها تحليل المؤسسات الديموقراطية ، لأن أصحاب هذه النظريات هم فلاسفة تنظير اجتماعي / اقتصادي ، يقومون بصياغة نظريات ذات توجه أخلاقي واقتصادي وتصورات تتعلق بالمصالح والغايات ، كما أن آراءهم متناقضة وغامضة أحيانا (فيها التباس بين المشاعر الأخلاقية والمصالح والغايات) ليس هناك خط فاصل بينهما .

الزاوية الإيجابية لتصورات راولز : تتمثل في إعادة تحيين Actualisation نظرية العقد الاجتماعي من خلال العودة إلى أفكار جون لوك وروسو وكانط ، وهنا كان راولز كانطيا لأنه تصور العدل وفق أدوات كانطية مقابل انتقاده للنزعة النفعية التي سيطرت على التراث الغربي .

كتاب نظرية العدل يمثل مراجعة لمفاهيم : الإنسان ، التاريخ ، والإيديولوجيا .. بعدما كانت الماركسية تسيطر على الأفكار والتصورات وتقف عائقا أمام الفلسفة السياسية (التصورات السياسية) في القرن العشرين كانت مبعدة بفعل سيطرة الماركسية التي أرادت أن تكون فلسفة إجتماعية شاملة تختفي معها استقلالية السياسة يمكن العودة مثلا إلى نماذج من الفلاسفة الذين اعتبروا الماركسية قدر التفكير والحياة : سارتر مثلا يزعم أن الماركسية هي فكر زماننا الذي لا يمكن تجاوزه ، ولهذا نشأ تيار فلسفي على هامش الماركسية حاول التفكير في السياسة انطلاقا من موقعه في الهامش مثل " ليوشراوس Léo-chtrouss و كارل شميث Karl schmitt وإيريك

فايل و حنا أرندت وغيرهم ، وقد ساعدت الظروف التي عاشها العالم في ثمانينات القرن الماضي قبل انهيار الشيوعية وتراجع دور الماركسية في الساحة الفكرية وهذه الظروف هي التي ساعدت في عودة الفلسفة السياسية إلى الميدان لتظهر مقولات : الديموقراطية ، وتصالح الفرد مع الجماعة ، والحرية والعدالة ، **مقابل مفاهيم :** الشمولية ، الالتزام ، الثورة ، المساواة العامة .... الخ ، هذه المفاهيم التي كانت موضة العصر .

لهذا ظهرت وجوه جديدة ليبيرالية مثل : راولز ، هابرماس ، كلود لوفور ، وشخصيات أخرى مثلت النزعة الجماعوية مثل تشالز تايلور ، مايكل سندل ، مايكل ولتزر . ساهمت هذه الوجوه الفكرية في تطوير الفلسفة السياسية والفلسفة الأخلاقية معا مع بدايات الثمانينات بعدما انحصرت سابقا منذ فترة ما بين الحربين العالميتين ليتراجع الاهتمام الفكري باليوتوبيات ويتحول الفكر الأخلاقي المعاصر نحو ما سمي بالأخلاقيات الجديدة التي تعني الاهتمام الأخلاقي بالتحديات الجديدة لـ : الأسرة ، البيئة والتطورات الجينية / الهندسة الوراثية ، ومسائل الانجاب خارج الرحم ، والاستنساخ والجراحة التجميلية والموت الرحيم ..... هذه المباحث الأخلاقية الجديدة التي عرفت باسم البيو-إيتيقا La Bioéthique أو أخلاقيات البيولوجيا والحياة ، وظهرت كذلك مباحث أخرى تهتم بإيتيقا السياسة وأخلاقيات القضاء ، وأخلاقيات الأنترنيت ...الخ

هذا الاهتمام الأخلاقي الجديد جعل الفكر يعيد النظر في الأخلاق من زوايا أكثر عمقا تجعل العيش المشترك يتأسس على قيم إنسانية كانت نظرية مجردة في حين من الضروري التفكير في جعلها عملية تطبيقية بإنزالها من مستوى التنظير إلى واقع الممارسة العملية وتحليلها في المؤسسات الاجتماعية والسياسية : مثل مبدأ المسؤولية الذي تناوله هانز يوناس عندما ربطه بالبيئة ومسؤولية الإنسان عن البيئة وعن الآخر ، ومقولة العدل داخل المؤسسات الاجتماعية والسياسية ، ومبدأ المناقشة الحرة والمشاركة السياسية والاجتماعية للأفراد داخل المجتمعات دون تهميش أو إقصاء ... الخ .

كانت الأخلاقيات الجديدة حلقة وصل بين الأخلاق والسياسة وساهمت في عودة الاهتمام بالنزعة الإنسانية الممزقة التي عرفت أزمة حديث النهايات :نهاية الاخلاق ، نهاية الإله ، نهاية الإنسان والتاريخ .....

تقييم عام :

أنّ نظرية العدالة كإنصاف هي تصور سياسي و ليس ميتافزيقي

فكرة المجتمع حسن التنظيم هي فكرة طوباوية لأنه من الصعب أن يتم الحصول على مجتمع يقبل كل أفراده مفهوما سياسياً للعدالة وحتى مؤسساته لا تسير آليا وإنما يسيرها أفراد بذهنيات مختلفة بنفس ذهنيات أفراد المجتمع .

لم ينجح جون رولز في التوفيق بين الحرية و المساواة نظرا لنزعته الليبرالية التي تعتبر إيديولوجيا ظاهرة في أفكار الفيلسوف .

نعتبر أنّ الاجراءات المقدمة من قبل رولز لتحقيق العدالة كإنصاف هي كافية، بالرغم من الغموض الذي تطرحه مسألة الرفع التدريجي لحجاب الجهل.

جون راولز John Rawls: فيلسوف أمريكي (1921 – 2002) ليبيرالي ، يندرج في ما سمي بالليبيرالية الجديدة أو النيوليبيرالية ، من أهم فلاسفة القرن العشرين المشتغلين في حقل الفلسفة السياسية / الأخلاقية ، من ضمن أهدافه الوصول إلى فلسفة عملية تهتم بالقيم الإنسانية ، اهتم بمسألة العدل وكيفية إنزاله الى المؤسسات في اطار عقد اجتماعي جديد .